



IRAQI  
Academic Scientific Journals



العراقية  
المجلات الأكاديمية العلمية



ISSN: 2663-9033 (Online) | ISSN: 2616-6224 (Print)

## Journal of Language Studies

Contents available at: <http://jls.tu.edu.iq>

### The Problem of Reading the Heritage Poetic Text of Adunis through his book *Ash-Shi'riyat ul-Arabiya* (Arabic Poetics)

Dr. Khadija Zain\*

University of Hamma Lakhdar El Wadi, Algeria

E.mail: [zine-khadidja@univ-eloued.dz](mailto:zine-khadidja@univ-eloued.dz)

<b>Keywords:</b> <ul style="list-style-type: none"><li>- Text</li><li>- poetry</li><li>- modernity</li><li>- heritage</li><li>-vision</li></ul> <b>Article Info</b>	<b>Abstract</b> <p>Adunis dealt with the ancient Arabic poetic text and tried to criticize and analyze it, through several intertwined modern critical approaches and mechanisms, through which he tried to build a special vision towards that poetic heritage in order to renew and modernize it and search for the bright aspects in it, in an effort to revitalize Arab culture and build a semi-Arabic theory that keeps pace with Modern Western Critical Studies and make the heritage contribute to solving the problems posed by the lived reality. From this standpoint, Adonis is one of the critics who opened the door to heritage in order to unmask it, and dust it off, after it was accumulated in Arab libraries without examination, study or analysis. Everything that is stereotypical is a heritage tradition, and everything that is different is modern in line with the elements of poetic modernity.</p>
<b>Article history:</b> <p><b>Received:</b> 2-2-2022</p> <p><b>Accepted:</b> 1-3-2022</p> <p><b>Available online</b></p>	

\* **Corresponding Author:** Dr. Khadija Zain, **E.Mail:** [zine-khadidja@univ-eloued.dz](mailto:zine-khadidja@univ-eloued.dz)  
**Tel:** 00213780175467, **Affiliation:** University of Hamma Lakhdar El Wadi - Algeria

إشكالية قراءة النص الشعري التراثي عند أدونيس من خلال كتاب " الشعرية العربية "

م . خديجة زين

ادب جزائري / جامعة حمّة لخضر الوادي / الجزائر

<b>الخلاصة :</b> تناول أدونيس النص الشعري العربي القديم وحاول نقده وتحليله، من خلال عدة مناهج واليات نقدية حدثية متداخلة، حاول من خلالها بناء رؤية خاصة تجاه ذلك التراث الشعري من أجل تجديده وتحديثه والبحث عن الجوانب المضيئة فيه، سعياً منه إلى نهضة الثقافة العربية وبناء شبه نظرية عربية تواكب الدراسات الحدثية النقدية الغربية. وجعل التراث يساهم في حل المشاكل التي يطرحها الواقع المعاش. ومن هذا المنطلق يعد أدونيس واحداً من النقاد الذين فتحوا الباب أمام التراث من أجل إمطة اللثام عنه، ونفض الغبار منه، بعدما كان مقدساً في المكتبات العربية دون فحص أو دراسة أو تحليل، كما يعد ناقداً حدثياً ثائراً على كل مقدس سواء في الدين أم في الأدب، معتبراً كل ما هو نمطي تقليد تراثي وكل ما هو مختلف حدثي يتماشي مع مقومات الحدث الشعري.	<b>الكلمات الدالة: -</b> - النص - الشعر - الحدث - التراث - الرؤية  <b>معلومات البحث</b> <b>تاريخ البحث:</b> الاستلام: 2022_2_2 القبول: 2022_3_1 التوفر على النت
--	--

### ❖ قراءة النص الشعري القديم وإشكالية المنهج

إن إشكالية المنهج من إشكالات التي طرحتها الدراسات العربية النقدية، هي معضلة واجهها معظم النقاد المعاصرين عند مواجهتهم للنصوص الشعرية القديمة، وعليه فعلية اختيار المنهج المناسب للعملية القرائية يتطلب جهداً كبيراً من طرف الدارسين، حتى يصلوا إلى الأداة الأنجع لتحليل النصوص وتحقيق المعنى المنشود.

وبالتالي " باتت إشكالية المنهج في الدراسات العربية موضوعاً عالقاً لم يحسم فيه بعد بالرغم من سيل الدراسات النقدية التي عرفت هذه القضية، ولا يمكننا الحسم في ذلك بالقول إن هذا المنهج الصالح أو هو وحده القادر على كشف مكنون النصوص بطريقة إطلاعية كما نرى في دراسة بعض المحدثين<sup>1</sup> "

وهنا لا نحكم على أن هذا المنهج صالح لهذه الدراسة أو تلك إلا إذا عرفنا خلفية كل منهج ؛ لأن لكل منهج خصوصية وميزة يتصف بها عن غيره، والحديث عن المنهج في بنية

الثقافة العربية موضوع صعب المنال، لأنه إشكال مازال إلى يومنا هذا لم نجد له أي حل وذلك " يعود بالأساس على بنية الثقافة العربية المعاصرة التعرف حالة عدم الانسجام بين مكونات الذاتية، وصراع هذه المكونات بحكم اختلاف المذاهب والرؤى والمواقف...<sup>2</sup> ".

وعليه فجل الدراسات في الثقافة العربية تعيش حالة من الانفصام بين الذات والذويان في الآخر، وهذا التناقض والاختلاف جعل النقاد و الدارسين يقعون في عدة مطبات ولا يجدون لها حلول وذلك بحكم تنوع في الخلفيات والرؤى والمواقف.

وإذا بحثنا عن المظهر الأساسي لهذه المعضلة وجدناه " يعود إلى قبول أو رفض ثقافة الآخر الوافدة من بيئات معرفية بعيدة من حيث الخصوصيات التاريخية والحضارية عن تراثنا العام والشعري بوجه خاص، وهذا ما يدفعنا إلى اعتبار العلاقة التي تربطنا بالآخر الثقافي هي جوهر الاختلاف بين دارسي الشعر العربي القديم...<sup>3</sup> ".

ولعل المتأمل إلى تاريخ الدراسات العربية والحركة الأدبية يلاحظ أن اللبنة الأولى لهذا السجال يعود بالدرجة الأولى تاريخياً إلى زمن النهضة العربية، وحين الشاعر العربي إلى التراث العربي القديم من أجل إمطة اللثام عليه من أجل البحث عن الأوجه المضيئة فيه حتى يقتدي بماضي الأجداد.

الأمر الذي دفع بظهور اتجاهات تدعو إلى الإصلاح في جميع الميادين وخاصة الجانب الفكري وبالتالي " فإن مشروع النهضة بقدر ما هو حلم استشرفته اللحظة العربية الحديثة، بقدر ما طرح عدة إكراهات وصعوبات استحالت في معظم الأحيان كوابيس تقض مضجع الإنسان العربي وتحيله على الانتظارية والعدمية ..<sup>4</sup> "

وعليه فقد طرحت النهضة موضوع دراسة ومراجع تراث الأجداد، لكن هذه المقاربة تطلبت البحث عن المنهج الأنجع لها مع مراعاة الخصوصية العربية هذا من جهة، وفي نفس الوقت التعايش مع السيل الجارف للدراسات والنظريات الغربية الحديثة التي استطاعت الدخول إلى بيت المتقف العربي.

### قراءة النص الشعري ومشكلة المنهج عند أبو نيس

لقد فتحت النهضة الباب للنقاد العرب المعاصرين لقراءة التراث الشعري العربي، خاصة بعد نكسة حزيران 1967. وبذلك تعددت الرؤى والمناهج لقراءة التراث العربي، من هنا ذهب معظم النقاد إلى دراسة المنظومة التراثية الشعرية من أجل استنطاقه للبحث عن الجوانب المضيئة فيه و التأسيس له والانطلاق منه لعيش الحاضر الجنوح نحو المستقبل .

ولعل أدونيس واحد من الذين قاربوا التراث العربي القديم، وبحثوا فيه من خلال ربطه بسياقاته المعرفية والتاريخية له وذلك من أجل الخروج بقراءة جديدة حدائثية تمكنه من مسابرة الفكر العربي القديم للدراسات الغربية المعاصرة .

من هنا يمكن طرح عدة تساؤلات حول منه المفكر أدونيس في قراءة التراث ومدى إثرائه للقراءات التي سبقته كقراءة طه حسين للأدب الجاهلي، وغيره من الدراسات التي حاولت دراسة وتحليل التراث للبحث عن كوامنه، وجعله مطية للنهوض بالواقع العربي وتحديثه .

- ما الخلفيات النقدية والمعرفية التي انطلق منها أد ونيس في قراءة النص الشعري القديم ؟  
- هل قارب أد ونيس النص الشعري انطلاقا من حيثياته وسياقاته؟ أم أنه اسقط عليه المناهج النقدية الغربية؟

- كيف صاغ أدو نيس رؤيته الحدائثية في التأصيل لهذا التراث الشعري ؟ وهل حقا استطاع بناء نظرية عربية خالصة لدراسة النص الشعري القديم ؟  
❖ الخلفيات المعرفية والنقدية لقراءة التراث عند أدو نيس:

### 1/ أدو نيس والحدائثية النقدية الغربية

لقد كانت للحدائثية النقدية الغربية بالغ الأثر في منهج أدو نيس ورؤيته في تقويم التراث، فقد اتكأ المفكر على المنهج الغربي ومختلف المنطلقات النقدية والمعرفية الألمانية والفرنسية في دراسة وتحليل النص الشعري التراثي العربي، وهو بنفسه صرح بذلك في الكثير من موطن وفي العديد من كتبه، بداية من كتابه الموسوم بالثابت والمتحول إلى كتبه المتأخرة، وقد جاء في إحدى كتبه النقدية قوله الذي يؤكد ذلك : "حين أقرأ رامبو ومن يجري مجراه، أقرأ شرقي العربي في صوت غربي: الهرب من نظام العقل، والارتقاء في حيوية الجسد وتفجر القوى اللامنطقية، كالسحر والحلم، والرغبة، والخيال . وحين أقرأ ريلكه ومن يجري مجراه، أقرأ التصوف العربي، غوصا في ماهية الانسان ووحدة وجوده وهشاشة عالمه . وحين أقرأ السوربالية أقرأ كذلك التصوف العربي، شطحا وإملاء وانخطافا . و حين أقرأ دانتي، أو غوته أو لوراكأ، أو غونار أيكلوف، أرى أضواء عربية تتلأأ في دروب التي تدركها كتاباتهم الغربية : أنكر هذه الأسماء، تمثيلا لا حصرا، لأقول أن تأثرهم هنا بالشعرية العربية هو نوع من لقاء الذات بالآخر..<sup>5</sup>"

وجاء ذلك التأثر صريحا في كتابه " الشعرية العربية "، بقوله : " أحب أن أعترف بأنني كنت بين من أخذوا من ثقافة الغرب، غير أنني كنت كذلك بين الأوائل الذين ما لبثوا أن تجاوزوا ذلك، وقد تسلحوا بوعي ومقومات تمكنهم من أن يعيدوا قراءة موروثهم بنظرة جديدة، أن يحققوا استقلالهم الثقافي الذاتي .وفي هذا الإطار أحب أن أعترف أيضا أنني لم أتعرف على الحدائثية الشعرية العربية من داخل النظام الثقافي العربي السائد وأجهزته المعرفية، فقراءة بود لير هي

التي غيرت معرفتي بأبي نواس وكشفت لي عن شعريته وحدثته وقراءته ما لارميه هي التي أوضحت لي فأسرار اللغة الشعرية وأبعادها الحديثة عند أبي تمام وقراءة رامبو ونرفال وبريتون هي التي قادتني إلى اكتشاف التجربة الصوفية بفرادتها وبهائها . وقراءة النقد الفرنسي الحديث هي التي دلنتني على حادثة النظر النقدي عند الجرجاني، خصوصا في كل ما يتعلق بالشعرية وخاصيتها اللغوية التعبيرية<sup>6</sup> .

ويمثل هذا الاحتكاك عند أدو نيس جزءا من حرية الإبداع التي يمارسها القارئ على نصوص بعيدة عن إطاره الثقافي رغبة منه في الحوار والانبهار، فيؤكد من خلال قراءته للثقافة الغربية: " أن تاريخ هذه القراءة يشكل خروجاً عن الثقافة الأم لمعرفة نتاج الآخر، وهو جزء من الحوار الثقافي الذي ..يعتمد على تقديم القارئ قراءة لنتاج غير نتاجه وفق ثنائية الغرب / العرب"<sup>7</sup>، والتي تمكنه من تكوين وعي ثقافي نقدي يقترب من المنجز الثقافي الغربي ليكون مقوما للنص والمنجز العربي.

ويرى أدو نيس أن حادثة الثقافة العربية منوط بمدى احتكاكها بالغرب، وفي هذا الصدد يقول: "ففي تاريخنا لم تنهض الثقافة العربية، بالمعنى الدقيق لكلمة النهوض إلا باتصالها بالآخر، التصوف اتصال بالآخر، ابن سينا والفارابي وابن رشد قامت ثقافتهم على العلاقة بالآخر، الحركة العلمية قامت على العلاقة بالآخر، صارت للذات العربية هوية بدءاً من علاقتها بالآخر"<sup>8</sup> .

## 2/ أدونيس وشعرية قراءة النص الشعري القديم

أ / مفهوم الشعر عند أدو نيس:

يعرف أدو نيس الشعر بقوله: " لا يمكن حصر الشعر العربي بالوصف الشائع، أي أنه الكلام الموزون المقفى، هذا من المحال، الشعر صار تجربة حضارية، والقصيدة شريحة حضارية، والشريحة الحضارية مثل الانفجار البركاني سيتخذ شكلا يلائمه، لقد غيرنا مفهوم الشعر، هذه هي العناصر الأساسية التي كانت توجه حركتنا مع الإعجاب الشديد بالتراث العربي وبالثقافة العربية، فنحن جزء من التراث العربي، ومادمت تكتب بلغة العربية وتخلق فيها جمالا جديدا، فذلك يعني أنك تعرف جمالها القديم"<sup>9</sup>. يقول في طرق إبداع الكتابة الشعرية: "أنا ضد البدايات وضد مفهوم البداية وضد مفهوم الأول، لكنني كنت، منذ البداية منفتحا، كما أنا الآن، على العالم وعلى الآخر، ومنفتحا على جميع أشكال التعبير اللغوي الموجودة والممكنة"<sup>10</sup>.

وهنا يوضح أدونيس أن من أسباب ضعف الكتابة الإبداعية في الثقافة العربية يعود إلى " انعدام للمشروع ليس في المجال الفني وحده، بل في المجال القومي العام كذلك، إن غياب المشروع القومي والاجتماعي والسياسي أدى، بطبيعة الحال، على غياب المشروع الفني، ثمة

أفق مسدود، والكتابة اليوم تدور في هذا الأفق المسدود، هناك انكفاء على مشاغل الحياة اليومية وعلى التفاصيل والجزئيات، صار الشاعر يعنى بتدبير شؤون يومه ويكتب عن أسيائه الحياتية المباشرة، بينما المشروع الكبير مندرج وغائب، ولعل هذا هو السبب في غياب هاجس التفتيش عن الطرائق التي تتيح خلق عالم آخر أو غياب ما تسميه هم التجديد.<sup>11</sup>

### ب/ شعرية القراءة عند أدو نيس:

يعرف أدو نيس فعل القراءة بقوله: "قراءة النص هو طريق لفهم الشعر ووسيلة لمواكبة الأفق الإبداعي في النص المقروء وكيفية بناء ذلك الخلق الفني، وعليه تقترض قراءة النص الشعري إغناءه من حيث أنها سبر في الأفق الذي يفتحه، ومن حيث أن هذا السير لا ينتهي، لأنه استقصاء للعمل الشعري وعلاقات رموزه وصوره، ومن هنا ليس للنص الشعري معنى، كما كان يفهم تقليدياً، وإنما هو حركية من الدلالات، إنه بتعبير آخر، لا يقدم اليقين، بل الاحتمال، إنه نص يتجدد مع كل قراءة، لا ينتهي، ولا يستنفد، هذا ما يميز الأعمال الشعرية الخلاقة.<sup>12</sup>" وهنا تصبح القراءة فعل اختراق النص من أجل القبض على الدلالة والمعنى ولمس جماليته، كما تسمح لنا بتقويم الأعمال الإبداعية رديتها وجيدها.

وقد وضع أدو نيس عدة شروط لقراءة النص الشعري وأهمها<sup>13</sup>:

- القدرة على استعادة الحالة الشعورية، والخالية والفكرية وراء النص المقروء .
  - القدرة على التمييز بين التجارب الشعرية، مما يفترض من القارئ الثقافة الشعرية الواسعة .
  - القدرة على التقويم الجمالي، والذي يتطلب من القارئ والناقد حساً نقدياً وفهماً حقيقياً
- هذا ويشير أدو نيس إلى أزمة قراءة التراث العربي، وكيفية تعامل القارئ العربي مع النصوص العربية القديمة، لأن تلك الدراسات والقراءات التي راحت تقارب التراث الشعري لم تصل إلى المطلوب، وفي هذا يقول: " ليس هناك قارئ عظيم ليمارس فعل التأويل لهذه النصوص الممتازة، بل تأويل يفتح لها الأفق الذي نطمح إليه ويدخلها في نسيج الثقافة الكونية، وهذا كله مسؤولية القراءة<sup>14</sup>"

وكان هدف الناقد والمفكر السوري هو الوصول إلى قراءة واعية وفاحصة للنص الشعري القديم تمكنه من تحديثه وتجديده، حيث نجده يؤكد هذا بقوله: " أطمح الآن إلى تأسيس قراءة جديدة، إن أزمة الثقافة العربية اليوم في جميع جوانبها، هي أزمة قراءة أكثر مما هي أزمة كتابة، وهذه الأزمة لا تتعلق بقراءة النصوص الحديثة فقط وإنما بقراءة النصوص القديمة أيضاً، والقراءة السائدة اليوم، وبشكل خاص للنصوص القديمة، كارثة، وهي كارثة معرفية، وهذه الكارثة صارت كأنها أول من ينقض جمال القديم كله وعظمة القديم كله، ويشوّه أو يموه أو يكبت الإشعاعات

الممكنة والكامنة في النصوص القديمة...وما أقوله عن قراءة النص القديم أقوله عن قراءة النص الجديد".<sup>15</sup>

وفي هذا لا بد من تغيير قراءتنا اتجاه النص الشعري القديم، وكذا إعادة النظر في تاريخ الشعري العربي وفي قيمته، وفي مفهوماته ودلالاته التقليدية من أجل حدائته وتجديده . وهذا الفعل يتطلب ناقدا واعيا وحصيفا ودارسا حاذقا وذلك نظرا لما يحمله فعل القراءة من فكر يهرب من كل قيد وكل عقال، فالمهمة - إذا - ستصبح مضاعفة أمام استراتيجيات التأويل الغائمة والمستعصية أحيانا كثيرة ، لتصبح القراءة " فعل خلاق يقرب الرمز من الرمز ويشد العلاقة إلى العلاقة ، وسير في دروب ملتوية جدا من الدلالات نصادفها حيننا وتوهمها حيننا فنختلقها اختلاق"<sup>16</sup>.

وهنا على المؤول أن يتسلح باليات التأويل تجعله يكابد المصاعب من أجل الوصول إلى المعنى والهدف المنشود، فالطريق شاق والمسافة طويلة حتى يتمكن القارئ من إيجاد ضالته وهي البحث عن الدلالة والقبض عن المعنى . لأننا بحاجة اليوم، وهي مهمات الأولى للنقد هو " استقصاء جمالية القراءة السائدة التي لا تزال توجهها تقليدية النوع الشعري الموروث وطريقتها في التدقيق والتقويم، وأنه لا بد من تجاوز هذه التقليدية...ورفضا لتلك القراءة السائدة، فهما وأحكاما، ورفض لمقاييس جمهورها، فإذا كانت الكتابة الشعرية الإبداعية تخلق قارئها فيما تخلق أفقها، فإن حاجتنا اليوم، كتابة ونقدا نستطيع من خلالهما الوصول إلى جمالية القراءة الإبداعية"<sup>17</sup> ويمكن أن نستخلص أن القراءة عند أدو نيس تهدف إلى<sup>18</sup> :

- مرافقة النص الشعري في رحيله الاستكشافي .
- طريقتة في المعرفة وفي التغيير .
- قيمته المعرفية .
- بعده الجمالي، وكيفية استقصائه لإمكانات اللغة، وللتشكيل، والتي لم تكتشف جيدا بعدا، أو لم تكتشف أصلا، وفي هذا الصدد يقول : " لا تقدم لنا شعرية القراءة عالما واضحا ويقينيا، وإنما على العكس، تدفع بنا إلى أبعد في أفق النص الشعري، إنها تشكل من المعرفة تنمهي مع التغيير والحركة والالتباس، وهي لذلك معرفة مفتوحة، شأن النص، ذاته، وشأن الإنسان والعالم"<sup>19</sup> .

### 3/مقاربة النص الشعري العربي القديم

وهنا يمكن أن نخرج على ثلاث نصوص رئيسة كانت هي أهم النصوص الشعرية القديمة التي قرأها أدو نيس وقاربها في مؤلفاته النقدية على غرار: مقدمة الشعر العربي، الثابت والمتحول، والشعرية العربية، والصوفية والسوريالية وتمثلت في أهم شعراء الحدائث الأولى للتراث

الشعري العربية القديمة، باعتبار نصوصهم الشعرية التي حملت التجديد والخروج عن المألوف ونجد على رأسهم : جميل بثينة، أبو نواس، النفري .

أ/شعرية الحب :

قارب أدونيس شعرية الحب، وقد مثله في العصر الأموي جميل بن معمر، الذي لقب جميل بثينة، فقد قدم لنا شعر جميل صورة عن الحب العذري الطاهر تغاير الصورة القرآنية للمرأة الحبيبة في هذا الشعر ليست النساء كلهن وحسب، وإنما هي كذلك، الوجود كله، يقول جميل بثينة في هذا<sup>20</sup> :

رفعتُ عن الدنيا المنى، وغير ودّها      فما أسال الدنيا ولا أستزيدها  
وددتُ، ولا تُغني الودادة، أنها      نصيبي من الدنيا وأني نصيبيها .

هكذا تملأ بثينة حياة جميل وعالمه، فحيث اتجه ترافقه، وحيث ينظر يراها :

فما غاب عن عيني خيالك لحظة      ولا زال عنها، والخيالُ يزول  
فما سرتُ من ميل، ولا سرتُ ليلة      من الدهر، إلا اعتادني منك طائف  
والهاجس الذي يحرك جميل أنه كان لا يفتأ ينظر إلى السماء، بمختلف الاتجاهات

ومختلف الطرق، أملا في أن يتطابق، ولو مرة واحدة جفنه مع جفن بثينة . فخيالها دائما لا يبرح عقله، فهي تسكنه دائما .

يقول في هذا الصدد :

أقلّبُ طرفي في السماء لعلّه      يوافق طرفي طرفها حين تنظرُ  
خيالكُ في عيني، وذكركُ في فمي      ومثواك في قلبي، فأين تغيبُ ؟

وهنا أصبحت بثينة بالنسبة إلى جميل هي الأنتى الكونية، أو هي الوجود كله، فإن حبها يصبح قوة خفية تحول العالم، أو يصبح كما يعبر هو سحرا، هذا السحر الذي يلغي المسافات، ويجعل كلا منهما، أينما كان، قريبا إلى الآخر كأنه يراه ويلامسه . كما يغير نظام العالم ونظام العقل معا، يصبح المحال ممكنا، وغير المعقول معقولا . كما أن سحرها يقدر أن يقيم الموتى<sup>21</sup> :

هي السحر، إلا أن السحر رقية      وإني لا أُلقي لها الدهر راقيا  
مفلة الأنياب، لو أن ريقها      يداوي به الموتى، لقاموا من القبر  
كما تصيح بثينة هي المحبوب المتحكم في زمن جميل، وهكذا تتغير لديه صورة الزمن وتتغير العلاقات بين المحبين فالزمن يقصر ويطول بحسب لقاء جميل ببثينة أو غيابها عنه، لا

بحسب طوله الرياضي أو قصره، وقيمة الزمن ليست امتداده الأفقي – الكمي، بل في عمقه وعموديته، ولهذا قد تكون اللحظة أثمن وأغلى من الدهر كله<sup>22</sup>:

وحوّل نلتقي فيه قصير	يطول اليوم إن شطحت نواها
أو نلتقي فيه، عليّ كأشهر	ويكون يومٌ لا أرى لك مرسلا
وبين حياتي خالداً آخر الدهر	مضى لي زمان لو أخير بينه
على غفلة الواشين، ثم أقطعوا أمري	لقلت ذروني ساعة وبثينة

يمكن أن نستنتج، فنقول إن بثينة، في شعور جميل، باقية حيث كانت في تفتح الحب وطفولته، غير أنها ليست ماضيا مضى، أي أنها لم تتغير، إنما هي الحضور الأبدي، وكأنها اليوم هي نفسها الأمس، وكما ستكون غدا، إنها هذا الألق الثابت، وهذه اللؤلؤة التي تزداد تألقا في جحيم التغيير المنكر الذي يلتهم جميل . فهي الحب الحقيقي والدائم لديه، ويقول المتصوف " ابن عربي " عن الحب الحقيقي وعن علاقة الحبيب مع المحبوب فيقول : " متى استحکم أصم صاحبه عن سماع سوى كلام محبوبه، وأعماه فلا يرى سوى صورة محبوبه، وأخرسه عن كل كلام إلا عن ذكر محبوبه، فلا يدخل في قلبه سوى حب محبوبه، ويرمي قلبه على خزنة خياله، فلا يتخيل سوى صورة محبوبه ...<sup>23</sup>

ويرى أبو نيس أن حب جميل بثينة هو حب صادق، يحمل الإخلاص لامرأة واحدة، كما ينتزه عن الشهوات الحسية، فهو يأخذ طابعا عفيفا طاهر، يستمد مبادئه من البعد الأخلاقي الاجتماعي الذي يفرض على المحب عدم التغزل بالمرأة التي يحبها وبخاصة إذا تزوجت غيره فمثل هذا التغزل يعد تشهيرا بأهل المرأة كان يعاقب صاحبه بالقتل، كما حدث لجميل نفسه، إذ أهدر دمه لأهل بثينة إذا وجدوه في حيهيم، ومن هنا يصح القول إن العذرية صفة للحب من الخارج، أي من المجتمع وعاداته وتقاليده، وليست من داخل، أي من المعاناة والتجربة الشخصيتين، فهي ظاهرة سلبية لا إيجابية<sup>24</sup>.

### ب/ شعرية الحرية والخمرة

شعر أبو نواس يخرج عن العادات وتقاليد المجتمع العربي الذي عاش فيه، فهو يرفض كل الأحكام التي تكبحه، فقد جاء شعره ساخرا من الدين والمجتمع و البداوة والصحراء ونمط الحياة البدائية، داعيا إلى الحرية والعيش في نمط بدائي جديد، وهذا يتطلب نمط جديد في الإبداع والتعبير<sup>25</sup>.

يلبس شعر أبو نواس قناع المجون والخمرة التي تدعو إلى الحرية، التي تخرق المحرم، ويرى في ذلك أبونواس " أن خرق المحرم يولد فوضى الغبطة، التي هي نوع من هدم النظام

الثقافي القائم الأخلاقي القائم، ونوع من الوعد الوثائق بمجيء ثقافة لا قمع فيها، ولا قيد، وثقافة تخرج على قيم الأمر والنهي، وتتيح الحياة بشكل يتم فيه التآلف بين إيقاع الجسد وإيقاع الواقع في موسيقى الحرية<sup>26</sup> .

كما يتخذ أبو نواس من المجون قناعا يختفي وراءه، ومن السكر الذي يحرر الجسد من رقابة المنطق والتقاليد فهو رمز للتحرر الشامل .

والخمرة ليست في ذاتها، بل ما ترمز إليه، وما تشير إليه " إنها قدرة التحول، قدرة الإباداة والإنشاء، النفسي والإثبات، إنها الخالقة : فهي القديمة التي لا تنسب إلى أي شيء، بل ينسب إليها كل شيء، وهي النشوة والمعاد، وهي بينهما الحياة في أبهى معانيها - الحب، وهي لذلك القوة التي تغير الحياة . وتآلف بين النقاوض وتبطل منطق الزمن العادي، إنها نشوة اللقاء بالذات ونشوة التآلف بينها وبين العالم .

ويقول أبو نواس في هذا الباب ( ) :

مازلت أستل روح الدن في لطف	واستقي دمه من جوف مجروح
حتى انثنت ولي روحان في جسد	والدن منطرح جسما بلا روح
لا تلمني على التي فتننتني	وارتني القبيح غير قبيح
قهوة تترك الصحيح سقيما	وتعير السقيم ثوب الصحيح
هات بمنل الراح معرفة	بلطافة التأليف والود
لا ينزل الليل حيث حلت	فليل شرابها نهـار
تترك المرء إذا ما	ذاقها يرخي الأزار
ويرى الجمعة كالسبت	وكالليل نهـار
كرخية تترك الطويل من	العيش قصيرا وتبسط الأملا
تلعب لعب الشراب في قدح	القوم إذا ما حبابها اتصلا
قال ابغني المصباح قلت له انتد	حسبي وحسبك ضوءها مصباحا
فعلت في البيت إذ مزجت	مثل فعل الصبح في الظلم
فاهتدى ساري الظلام بها	كاهتداء السفر بالعلم
صفراء تفترس النفوس فلا ترى	منها بهن سوى المسنات جراحا
فأرسلت من فم الإبريق صافية	كأنما أخذها بالعين إغفاء

وكما أن الخالق جوهر الكون، والعالم غابة رموزه لأسمائه وصفاته وأفعاله، فإن الخمرة هي كذلك جوهر، وليست أشياء العالم إلا نسيجا من المطابقات بينها وبينه، فهي النار، وهي كائن حي ينطق ويرى، وكؤوسها مصابيح ونجوم، والمجلس الذي تشرب فيه، فلك يتم فيه الموت والنشور، فالنفاذ إلى أعماق الذات، إنما هو في الوقت نفسه نفاذ إلى أعماق الطبيعة<sup>27</sup>.

وقال في هذا الصدد :

وتحسر العين أن تقصاها	تلتهب الكف من تلهبها
أراحنا نارنا، أم نارنا الراح	كدنا على علمنا للشك نسأله
ترنو إلى شربها من بعد إغفاء	لها من المزج في كاساتها حدق
بلسان ناطق قصة وفم	عتقت حتى لو اتصلت
ثم قصت قصة الأمم	لاحت في القوم ماثلة
جاريات وروجها أيدينا	في كؤوس كأنهن نجوم
فاذا ما غربن يغربن فينا	طالعات مع السقاة علينا
كأن أعينها أنصاف أجراس	صفراء تضحك عند المزج من شغب
سرج توقد في محراب شماس	كأن كاساتنا والليل معتكر
نزو الجنادب من مرج وافياء	تنزروا فواقعها منها. اذا مزجت
تكون بيننا فلك يدور	إذا الطاسات كرتها علينا
مشرقة، وتارت تغور	تسير نجومه عجلا وريثا
وفي دوراتهن لنا نشور	إذا لم يجرهن القطب متنا

ليكون أبو نواس ذلك الشاعر الذي ثار على الدين والمجتمع، بمجونه، وزندقته، وثورته عن طريق المجون الذي يشكل عنده " خروج على نظام الأخلاق السائدة، وكما أن الحلم دخول فيما يحجبه الواقع، فإن المجون دخول فيما يمنعه نظام الأخلاق، وكما أن الحلم يتضمن جدلية النفي والإثبات، والهدم والبناء، كذلك يتضمن المجون جدلية الرفض والقبول رفض ما هو راهن، وقبول ما يتجاوزه، المجون في الواقع، كالحلم فيما وراء الواقع، نفي لكل ما ينفي حرية الإنسان، كلاهما يمثل النشوة الكاملة<sup>28</sup> "

هذا وقد قارب أدونيس شعر أبي نواس، وعده رائد الحداثة الأولى، فهو رمز للرفض والتجاوز والحرية على العادات والتقاليد التي تثبط الإبداع، فقد اعتبر شعره محطة أولى للتجديد في التاريخ العربي .

### ج/ شعرية الشطح الصوفي

قارب أبو نيس الشعر الصوفي انطلاقاً من نص النفري، الذي عده حاملاً للحدس الصوفي الذي يدعو إلى الرفض والتجاوز والسفر نحو المجهول، فلغة النفري هي " مغامرة لقول ما لا يقال<sup>29</sup> "

كما يمثل شعر النفري حسب أدونيس قطيعة مع التراث في مختلف أشكاله، وبهذه القطيعة، يجدد الطاقة الإبداعية العربية، ويجدد اللغة الشعرية في آن، إنه يكتب التاريخ برؤيا القلب، ونشوة اللغة، يرفع الكتابة الشعرية إلى مستوى لم تعرفه قبله، في أبهى وأغرب ما تنتجيه اللغة للمرة الأولى، نرى فيه قلق الإنسان وتعطشه وتساؤله، أمواجاً تتصادم جزراً ومداً، في حركة من الغياب والحضور في أبدية من النور<sup>30</sup> .

فقد جاء في المواقف قوله :

أوقفني في القرب وقال لي ما مني شيء أبعد من شيء ولا مني شيء أقرب من شيء إلا على حكم إثباتي لله في القرب والبعد .

وقال لي البعد تعرفه بالقرب والقرب تعرفه بالوجود، وأنا الذي لا يرومه القرب ولا ينتهي إليه الوجود

وقال لي أدنى علوم القرب أن ترى أثار نظري في كل شيء فيكون أغلب عليك من معرفتك به

31

وقول النفري في المخاطبات :

يا عبد عكوفك على الدنيا أحسن من عبادتك للآخرة

يا عبدا تراني يوم القيامة كما تراني يوم فرحك وحزنك

يا عبد لست لشيء سواي فتكون به

يا عبدا الغيبة والنفس كفرسي رهان

يا عبدا الروح والرؤية الفان مؤتلفان

يا عبدا تقلب القلب في الغيبة اسلم له في الرؤية.<sup>32</sup>

إن اهتمام أدونيس بالصوفية كفكرة يعزز مشروع نقد الرؤية الدينية فإنه يرى أنها حركة ثورية تقع في محور المعارضة، فقد سارت في اتجاه يختلف عن ما هو سائد في الثقافة العربية الفقهية والاجتماعية وبالتالي فإن معنى "التحول" هو المرجعية التي يقرأ بها أدونيس المتن الصوفي، والتراث الصوفي تأسيساً على ذلك يصبح: "أرض التحول، أرض التأويل والمعنى الغائب، فقلق الشاعر في البحث يلتقي في هذه النقطة مع قلق الصوفي، فيستدعي الموروث الصوفي ثم يحمله شحنات رمزية تخدم مرجعيته الأصلية، مرجعية التحول والرفض<sup>33</sup>".

في الأخير كانت غاية أدونيس من قراءة التراث الشعري، هي محاولة منه لتجديد التراث وإعادة قراءته قراءة تجعله ينقب عن الجوانب المضيئة في تاريخ الثقافة العربية، وهنا تصور أدونيس للحدثة العربية انطلاقاً من ضرورة الاقتراب من الماضي وقراءته ضمن آلية السؤال والبحث: "إن ما ينبغي أن نتعلمه ممن أنتجوا لنا المعرفة الماضية، إنما هو ضرورة إنتاج رؤيا جديدة، ونظام جديد من المقاربة والمعرفة هو أن نكلمهم، لا بتكرارهم، بل باللهب الذي حركهم، لهب السؤال والبحث، واكتناه العالم والإنسان، وهذا يقتضي سؤالهم ومواجهتهم، وهذا دون ذلك لا نقدر أن ننتج معرفة عربية تتربط في سياق تاريخي واحد، هكذا يكون إنتاج المعرفة تجاوزاً أي تكون الحدثة في إنتاج المعرفة من مستلزمات القديم، جوهرياً بل تكون الحدثة جوهرياً ضمان القديم لحظة كونها تعارض معه، وفي هذا المستوى لا يمكن للشاعر العربي أن يكون حديثاً حقاً ما لم يتمثل القديم، أي ما لم يختبره كيانياً"<sup>34</sup>. بفعل المساءلة والنقد للقبض على المعنى والدلالة ولمس الجمالية الإبداعية العربية.

#### قائمة المصادر والمراجع :

##### المصادر

- أدونيس، الثابت والتحول، دار الساقى، بيروت، لبنان، ج1، ط7، 1994م.
- أدونيس، سياسة الشعر، دار الآداب، بيروت، لبنان، ط1، 1985م.

- أدو نيس، كلام البدايات، دار الآداب، بيروت، لبنان، ط1، 1989م.
- أدونيس، الشعرية العربية، دار الآداب، بيروت-لبنان، ط1، 1989م.

#### المراجع:

- أحلام الزعيم، أبو نواس بين العبث والاعتراب والتمرد، دار العودة، بيروت، لبنان، 1981م.
- بطرس البستاني، منتقيات من أدباء العرب من الأعصر العباسية، دار الجيل للنشر، بيروت، لبنان، دت.
- سفيان زداقة، الحقيقة والسراب، قراءة في البعد الصوفي عند أدونيس، منشورات الاختلاف، بوزريعة، الجزائر، دار العربية ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 1428هـ، 2008م.
- صقر أبوفخر، حوار مع أدونيس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2000م.
- عصام العسل، الخطاب النقدي عند أدو نيس (قراءة الشعر أنودجا)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1428هـ، 2007م، ص 149.
- محمد مبارك، استقبال النص عند العرب، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، جانفي 1999م.
- مصطفى شميعة، القراءة التأويلية للنص الشعري القديم، بين أفق التعارض وأفق الإندماج، عالم الكتب الحديث، إريد، الأردن، 2013م.
- النفري، المخاطبات، دار الكتب المصرية، القاهرة، د ط، 1934م.

#### الهوامش:

- 
- <sup>1</sup> مصطفى شميعة: القراءة التأويلية للنص الشعري القديم، بين أفق التعارض وأفق الإندماج، عالم الكتب الحديث، إريد، الأردن، 2013م، ص 99.
  - <sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 99.
  - <sup>3</sup> المرجع نفسه، ص 99.
  - <sup>4</sup> المرجع نفسه، ص 100.
  - <sup>5</sup> أدو نيس: سياسة الشعر، دار الآداب، بيروت، لبنان، ط1، 1985م، ص 71، 70.
  - <sup>6</sup> أدونيس: الشعرية العربية، دار الآداب، بيروت-لبنان، ط1، 1989م، ص 86.
  - <sup>7</sup> عصام العسل: الخطاب النقدي عند أدو نيس (قراءة الشعر أنودجا)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1428هـ، 2007م، ص 149.
  - <sup>8</sup> صقر أبوفخر: حوار مع أدونيس، 75.

- <sup>9</sup> المرجع نفسه، ص 75.
- <sup>10</sup> المرجع نفسه، ص 76.
- <sup>11</sup> صقر أبو فخر: حوار مع أدو نيس، ص 77.
- <sup>12</sup> أدو نيس: كلام البدايات، دار الآداب، بيروت، لبنان، ط1، 1989م، ص 27.
- <sup>13</sup> المرجع السابق، ص 27.
- <sup>14</sup> المرجع نفسه، ص 84.
- <sup>15</sup> المرجع نفسه، ص 83.
- <sup>16</sup> محمد مبارك: استقبال النص عند العرب، ص 28.
- <sup>17</sup> أدو نيس: سياسية الشعر، دار الآداب، بيروت، لبنان، ط2، 1996م، ص 62.
- <sup>18</sup> المرجع نفسه، ص 55.
- <sup>19</sup> أدو نيس: كلام البدايات، ص 37.
- <sup>20</sup> أدو نيس: الثابت والمتحول، دار الساقى، بيروت، لبنان، ج1، ط7، 1994م، ص 280، 281، 283.
- <sup>21</sup> أدو نيس: الثابت والمتحول، ج1، ص 286.
- <sup>22</sup> المرجع نفسه، ص 290، 291.
- <sup>23</sup> أدونيس: الثابت والمتحول، ج1، ص 283.
- <sup>24</sup> ينظر، المرجع نفسه، ص 297، 298.
- <sup>25</sup> ينظر، أدو نيس: الثابت والمتحول، دار العودة، بيروت، لبنان، ج2، ط2، 1989م، ص 109.
- <sup>26</sup> أدو نيس: الشعرية العربية، ص 62.
- <sup>27</sup> ينظر، أدو نيس: الشعرية العربية، ص 63.
- <sup>28</sup> عصام العسل: الخطاب النقدي عند أدونيس - قراءة الشعر أنموذجا - ص 79.
- <sup>29</sup> أدو نيس، الشعرية العربية، ص 64.
- <sup>30</sup> ينظر، أدو نيس الشعرية العربية، ص 66.
- <sup>31</sup> النفري: مواقف، ص 2.
- <sup>32</sup> النفري: المخاطبات، دار الكتب المصرية، القاهرة، د ط، 1934م، ص 186.
- <sup>33</sup> سفیان زدادقة: الحقيقة والسراب - قراءة في البعد الصوفي عند أدونيس، ص 525.
- <sup>34</sup> أدونيس: بيان الحداثة، ص 51.

## References

- Adonis. *Aht-Thabit wal Mutahawil*. Beirut: Dar us-Saqi, 1994.
- . *Siasat ush-Shi'r*. Beirut: Dar ul-Adaab, 1989.
- . *Kalam ul-Bidayat*. Beirut: Dar ul-Adaab, 1989.
- . *Ush-Shi'riyat ul-Arabiya*. Beirut: Dar ul-Adaab, 1989.
- Az-Za'iem, Ahlam. *Abu Nawas bein al-Abathi wal Ightirabi wat-Tamarrud*. Beirut: Dar ul-Awda, 1981.
- Al-Bustani, Butrus. *Muntaqayat min Odaba' il-Arab min al-A'asur il-Abasiya*. Beirut: Dar ul-Jeel, n.d.
- Zirdaqa, Sufian. *Al-Haqiqat was-Sarab: Qira'at fil Bo'd is-Sufie inda Adonis*. Algeria: Bouze'a & Beirut: Ad-Dar ul-Arabiya, 2008.

- Abu Fakhr, Saqar. *Hiwarun Ma'a Adonis*. Beirut:Al-Mo'assasat ul-Arabiya lid-Dirasati wan-Nashr, 2000.
- Al-'Asal, Isam. *Al-Khitab un-Naqdie inda Adonis: Qira'at ush-Shi'ri Onmothajan*. Beirut: Dar ul-Kutub l-'Ilmiy, 2007.
- Mubarak, Mohammad. *Istiqbal in-Nuss ind al-Arab*. Beirut:Al-Mo'assasat ul-Arabiya lid-Dirasati wan-Nashr, 2007.
- Shmei'a, Mustafa. *Al-Qira'atu ut-Ta'weeliya lin-Nass ish-Shi'rie il-Qadeem beina Afuq it-Ta'arudh wa Ofuq il-Indimaj*. Irbid: 'Aalam ul-Kutub il-Hadith, 2013.
- Al-Nifari. *Al-Mukhatabat*. Cairo: Dar ul-Kutub il-Misriya, 1934.